

البعد الدلالي السردي للشخصيات الروائية في ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

أ :دوالي بلخير

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدينة

ملخص :

تعد الشخصيات الروائية من أهم العناصر الفنية التي صنعت طبيعة الخلق الابداعي لرواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي على المستويين السردي والدلالي، وهو ما جعل الروائية تستغل إبداعيا هذه الخاصية الفنية في تأسيس الطرحين الجمالي والأيدولوجي اتكاء على المؤشرات النصية التي رسمت بنية الشخصيات الروائية وإيحائيتها ،وبالتالي فإن أسماء الشخصيات وصفاتها وصلتها باللغة الحوارية والوصفية من بين المؤشرات التي ركزت عليها الروائية خدمة لأبعاد الرواية الإيحائية المحتملة ، والتي تحتاج بدورها لقارئ منتج يكشف خباياها ومضمراتها تكريسا لفكرة نقدية تزواج بين ثراء الرواية الابداعي وثراء ثقافة القراء الجمالي.

Résumé

Les personnages du roman "DAKIRAT EL DJASSAD " de Ahlem Mostaghanemi, sont des éléments artistiques très importants. Ils sont, en effet, à l'origine de la création artistique de ce roman sur les deux plans narratif et sémantique.

La romancière a exploité artistiquement cette caractéristique afin de construire et de développer une thématique esthétique et idéologique.

En outre, Les divers indices textuels qui dépeignent les personnages et qui tracent leurs devenir : leurs noms, leurs descriptions et leur relation avec une langue dialogale et descriptive, sont également des éléments que l'auteur a mis aux services d'un lecteur averti, un lecteur critique afin d'instaurer la tradition d'une lecture esthétique.

تعد الشخصيات الروائية من أهم المكونات السردية المشكلة إبداعيا للخطابات الروائية، إذ تعتبر العنصر السردى الذي يطلع بمختلف أفعال الحكى الروائى، فكل خصوصية سردية إلا وترتبط بفاعلية الشخصية باعتبارها عنصرا ابداعيا فى رسم معالم تميز الخطاب السردى على مستواه التعبيري والدلالى وفاعلية ذلك فى تكريس البعد الإيحائى للرواية اتكاء على فكرة نقدية مفادها " صعوبة تصور أحداث سردية دون شخصيات تقوم بتلك الأحداث " (1) .

يلاحظ متأمل الشخصية الروائية وفعاليتها فى تشكيل طبيعة الخلق الفنى للإبداع الروائى أنها لم تحض بأهمية كبيرة فى الدراسات النقدية التقليدية عكس الرؤية النقدية المعاصرة التى نظرت إليها " على أساس أنها هي الأساس الذى يعطى للخطاب الروائى قوامه الذى يسوغ لتسميته بالرواية " (2) .

إن طبيعة الخلق الفنى للشخصية الروائية جعل منها عنصرا مهما فى تفعيل الخطاب السردى وإعطائه أبعادا دلالية تجعله قابلا للتلقى الاحتمالى إذ تساهم فى جعل العمل الروائى " يثير وجهات نظر متغيرة لدى القارئ " (3) والتي لا تتحقق إلا من خلال القراءة الإيحائية التأويلية لمقومات الشخصية وأبعادها وذلك بكشف فعاليتها السيميائية فى تكريس جمالية الخطاب الروائى .

تعددت الدراسات النقدية المعاصرة المشتغلة حول الشخصية الروائية وقضاياها باختلاف طريقة قراءتها وتحليلها كالنظر إلى تجلياتها وأبعادها ودلالاتها وعلاقتها بالمكونات السردية الأخرى، أو كالنظر إلى وظائفها البنائية وأصنافها وأهميتها الجمالية، أو من خلال أدوارها، لكن جل المسارات النقدية تشترك في النظر إلى الشخصية الروائية باعتبارها العنصر الروائي " الذي تتقاطع عنده كافة العناصر السردية الأخرى خاصة من جانب فعاليتها الدلالية ودورها الضروري لنمو الخطاب الروائي " (4)

1- خصوصية تسمية الشخصيات:

يعمل الأديب أثناء تشكيل طبيعة الخلق الفني لشخصياته الروائية على تقديم مقومات كل شخصية وعلاقاتها ومساراتها وغاياتها والعوائق التي قابلتها وتفاعلها مع المكونات السردية الأخرى إضافة إلى أبعادها وإيحاءاتها، وبناء على ذلك تعتبر تسمية الشخصية الروائية من بين المقومات الإبداعية التي يجب أن يكون " مفكرا فيها بدقة من طرف الروائي، ويكون هذا الأخير مدفوعا بهاجس تحقيق الحد الأقصى من المقروئية حتى ولو كان ذلك بإعداده لبرنامج حكاوي يستعمله لسد حاجة الاسم " (5) لما يقدمه هذا الأخير من قيمة فنية تثري العمل الروائي إبداعيا .

فالاسم بذلك مؤشر على فهم الشخصية الروائية وكشف أغوارها ووظائفها ودعامة لبنائها وهو ما جعل معظم المحللين البنيويين للخطاب الروائي يصرون على « أهمية إرفاق الشخصية باسم يميزها ويعطيها بعدها الدلالي الخاص، وتعليل ذلك عندهم أن الشخصيات لابد وأن تحمل اسما وأن هذا الأخير هو ميزتها الأولى، لأن الاسم هو الذي يعين الشخصية ويجعلها معروفة وفردية » (6) وبالتالي تساهم طبيعة الخلق الفني في توظيف الروائيين لتسميات الشخصيات الروائية وفق رؤية إيحائية تركز البعد الدلالي المرتبط بشكل خاص بفعل التلقي الاحتمالي، وهو التصور النقدي الذي تبنته الروائية أحلام مستغانمي بما جعل أسماء شخصيات روايتها ذات فاعلية إبداعية في تأطير

المسار الفني للرواية وتكريس بعدها الايحائي.بناء على ذلك استغلت الروائية فنيا شخصيتي (خالد) و(حياة) كشخصيتين محوريتين في تأسيس البعد السردي والدلالي لذاكرة الجسد، دون أن تتجاوز الأهمية السردية والدلالية لأسماء الشخصيات الروائية الأخرى مثل(حسان)،(زياد)،(سي الشريف)،(ناصر)، (كاترين)... ،وبالتالي يجد متتبع تسميات الشخصيات الروائية لذاكرة الجسد تنوعا إبداعيا في تقديمها ، إذ يجد أن الروائية قد وظفت في بعض الحالات تسميات غير محددة باسم معين بقدر ما تشير إلى دلالة التسميات الروائية خدمة لطبيعة الابداع الروائي سرديا وداليا فنجد الروائية قد وظفت ألقابا من باب القرابة (أب ، أم ...) مثل قول (خالد) «تدخلت ابنة عمك، وكأنها تعتذر»⁽⁷⁾، أو من باب المهنة (أستاذ عامل ...) مثل قول (خالد) «فبما يمكن أن يحلم أستاذ للعربية »⁽⁸⁾، أو من باب الموطن (قسنطينة، باريس، يوغسلافيا...) «إنها الجملة التي قالها لي الطبيب اليوغسلافي»⁽⁹⁾، أو من باب العاهات والصفات (أعرج، أحول، أشقر...)، أو من باب الألقاب الاجتماعية المعبرة عن التقدير والاحترام مثل (السيد ، السي، سيدي) وهو ما نلمسه في ذاكرة الجسد مميّزا لعدد من الشخصيات (سي الطاهر، سي خالد، سي الشريف، سي مصطفى...) والذي يوحي لدلالة الموقع الاجتماعي للشخصية .

يقرر الروائي حسب رؤيته الابداعية عدد ونوعية الصفات والمزايا الايحائية التي يحدد بها شخصياته ويترك للقارئ إمكانية تحديد دلالة تلك القرائن النصية وأبعادها، فالروائي ليس بحاجة لإتقان فن الوصف المظهري والنفسي لكي يجعل شخصياته واقعية وذات دلالة بل المهم في رؤيته الابداعية أن " يعرف كيفية إقامة علاقات بين وجود الشخصية المظهري والباطني وبين السياق الاجتماعي والأيدولوجي " ⁽¹⁰⁾ الذي يسعى الروائي لتقديمه استغلالا لما تتيحه شخصياته فنيا .

2- خصوصية تصنيف الشخصيات:

تعتبر نظرية فيليب هامون (phillipe Hamon) من الآراء التنظيرية النقدية التي درست الشخصية الروائية من خلال فعالية جانبها السيميولوجي، ومن خلال النظر إليها على أساس أنها بناء كلي متكامل يتوزع عبر نسيج النص بما يحمله من أفعال وصفات ودلالات.

حدد الناقد حسن بحراوي⁽¹¹⁾ طروحات فيليب هامون المصنفة للشخصيات الروائية وفق الرؤية التي نوضحها فيما يلي.

2- 1- الشخصيات المرجعية:

وهي الشخصية الروائية التي استند الروائي في استحضارها على ما تقدمه المجالات المرجعية المختلفة كالتاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع والدين وغيرها تأسيسا لإبداعية الرواية ودلالاتها الإيحائية استغلالا للإمكانات الإبداعية التي يمكن أن تقدمها تلك الشخصيات في تكريس طبيعة الخلق الروائي .

أ- الشخصيات التاريخية: personnages historiques

وهي شخصيات فاعلة من دلالتها التاريخية وتظهر كخصوصية تعبيرية في أحداث الرواية ولها فاعليتها الدلالية التي تجعلها تربط الحاضر بالماضي وهو ما يتجسد في ذاكرة الجسد في عدة مواضع استذكارية سردية مثلما جاء على لسان (خالد) متحدثا عن (سي الطاهر) «كان من طينة ديدوش مراد، ومن عجينة العربي بن مهدي، ومصطفى بن بولعيد ،الذين كانوا يذهبون الى الموت، ولا ينتظرون أن يأتيهم...»⁽¹²⁾.

يحدد هذا المقطع الارتباط الدلالي الذي تشكله الأسماء التاريخية كخصوصية تعبيرية استغلتها أحلام مستغانمي لرسم معالم دلالة الرواية من خلال ربط الحاضر بالماضي بغية تغيير التناقض الحاصل في الواقع الجزائري المعاصر والذي كان يجب أن يكون موافقا لدلالة تلك الشخصيات التاريخية الصادقة.

ب- الشخصيات الأسطورية: personnages Mythologiques

وهي الشخصيات المستوحاة من مختلف الأساطير والخرافات عبر مختلف الأزمنة التاريخية ، وما يلاحظ في ذاكرة الجسد ندرتها مقارنة بالشخصيات الأخرى ويمكن اعتبار شخصية "سيدي محمد الغراب" شخصية أسطورية في الرواية تحمل دلالة المستوى الفكري السائد في الجزائر وهو ما نلمسه من خلال قول خالد « فقد قتل فوقه (سيدي محمد)، أحد الأولياء الذين كانوا يتمتعون بشعبية كبيرة، وعندما سقط رأس الرجل الولي على الأرض، تحول جسمه إلى غراب»⁽¹³⁾

يشكل هذا المقطع الروائي صورة دلالية للواقع الاجتماعي للشخصيات الروائية وما تتضمنه من بعد إيحائي يعبر عن ارتباط الجزائري بما هو خرافي وبالتالي ساهمت الشخصية الأسطورية في تشكيل دلالة رواية ذاكرة الجسد من خلال تصوير الواقع الجزائري بتناقضاته الفكرية الحضارية التي حاولت الروائية تبنيها من جهة مقابل الأسطورية الخرافية التي ميزت عددا من شخصياته تعبيرا إيحائيا عن نقد الروائية للبنية الثقافية التقليدية للمجتمع الجزائري ودعوة صريحة لتطوير المجتمع معرفيا وثقافيا.

ج- الشخصيات الاجتماعية: personnages sociaux

وهي الشخصيات التي تبرز فعاليتها الفنية من خلال وضعيتها الاجتماعية ، ومستواها المادي وعلاقتها بالشخصيات الأخرى، وهو ما يتجسد في ذاكرة الجسد من خلال (خالد) الرسام، و(زياد) الأستاذ والشاعر، و(حسان) الأستاذ، (ناصر) التاجر، (حياة) الطالبة، (سي الشريف) السفير...

لقد استغلت ذاكرة الجسد خصوصية الشخصية الاجتماعية في تشكيل دلالة النص الإيحائية اتكاء على فعالية الواقع الاجتماعي في رسم تناقضات الواقع الجزائري المعاصر ، فالأستاذ أصبح فقيرا محتقرا ، واللص أصبح محترما غنيا حاكما.

د- الشخصيات الدينية: P- Religieuses

إن استغلال الروائية لهذه الشخصية كان قليل في ذاكرة الجسد ومثلها بشكل خاص شخصيتا "سي ناصر"، والشيخ (عبد الحميد بن باديس)، لكن توظيف هذه الشخصية عبر عن الدلالة الدينية التي حاولت الروائية تقديمها للقارئ بغية انتقاد الواقع الجزائري المعاصر الذي تبني حسب الروائية رؤية دينية ظاهرية كرست الفهم الديني وسطحيته عندما قدمت الشخصيات الدينية بمظهرها الخارجي لا جوهرها، تقول حياة «ما زالت لحية (ابن باديس) وكلمته تحكم هذه المدينة حتى بعد موته، مازال يتأملنا في صورته الشهيرة تلك، ملتحيا وقاره متكئا على يده، يفكر في ما ألنا إليه بعده»⁽¹⁴⁾.

2- 2- الشخصيات الواصلة: P. En broyeurs

تكون هذه الشخصيات علامة على "حضور المؤلف و القارئ أو من ينوب عنهما في النص، مثل الرواة"⁽¹⁵⁾، وتعتبر هذه الشخصيات من أصعب الشخصيات كشفاً، وفي ذاكرة الجسد تعتبر شخصية (خالد) و(حياة) أهم شخصيتين واصلتين إذ توحى شخصية حياة إلى الروائية نفسها، كما امتلكت شخصية (خالد) بعد الكاتب المبدع وكسارد لأغلب تفاصيل البنية السردية وإيحاءاتها الدلالية مستخدماً في ذلك عدداً من التقنيات الفنية المتعددة من حوار وسرد ووصف. كاشفاً من خلال ذلك بنية الحكاية ومحدداً مواصفاتها التي تجعلها تشكل بنية الخطاب الروائي.

2- 3- الشخصيات المكررة (الاسترجاعية): P- Anaphores

يشترط في فعالية هذه الشخصيات تواجد جملة من المرجعيات النسقية التي تحدد هويتها وجوهرها بمفردها من خلال إيراد "بعض المقاطع الاستذكارية أو الاستدعاءات، فهي بذلك تثير فكر القارئ، وتؤدي بالنص إلى توضيح نفسه بنفسه"⁽¹⁶⁾.

تعتبر شخصية (خالد) أهم شخصية استرجاعية بحكم قيام هذه الشخصية بسرد جل اللواحق المتعلقة بالشخصيات المشكلة لبنية رواية ذاكرة

الجسد والحاملة لدلالاتها، فقد قامت شخصية (خالد) بالتعليق على أغلب المقاطع الاستذكارية المرتبطة بالشخصيات الروائية الأخرى، وهو ما نلمسه في قول (خالد) متحدثاً عن (زياد) « لم يتغير زياد منذ آخر مرة رأيته فيها، منذ خمس سنوات ببائيس، ربما أصبح فقط أكثر امتلاءً، أكثر رجولة مع العمر، منذ ذلك الوقت الذي زارني فيه لأول مرة في الجزائر سنة 1972 »⁽¹⁷⁾.

لقد تنوعت الشخصيات الروائية في ذاكرة الجسد بشكل فني متميز كما تعددت أنواعها

ومواصفاتها وتعددت وظائفها ودلالاتها بشكل شعري ساهم في تفاعل هذه الشخصيات مع البناء الحداثي ومع مختلف المكونات الروائية الأخرى تأسيساً لطبيعة الخلق الفني والدلالي المتميز لذاكرة الجسد خاصة على مستوى جمالية اللغة الحوارية المقدمة من قبل الشخصيات وفاعلية اللغة الوصفية في رسم دلالات تلك الشخصيات وإيحائيتها.

د- التشكيل التعبيري الدلالي للشخصيات الروائية:

وظفت الشخصيات الروائية في ذاكرة الجسد إبداعياً بأشكال ومواصفات عدة لكن ما يشد الانتباه هو أن أغلبها ذكرت بأسماء مفردة دون أي ألقاب إلا في ما ندر مثل شخصية (سي الشريف) و(سي الطاهر) و(زياد)، مثل ما نلمسه على لسان (حياة) إذ تقول «هل اسمه زياد الخليل ؟ لقد سمعت هذا الاسم قبل اليوم»⁽¹⁸⁾.

حددت ذاكرة الجسد بمستويات متنوعة مختلف النوازع النفسية والصفات المورفولوجية للمظهر الخارجي، كما حددت فعالية كل شخصية في تشكيل الخصوصية التعبيرية للرواية وانعكاس ذلك في تكريس البعد الدلالي من منطلق أن «الجانب الخارجي والنفسي يضيء لنا جوانب مهمة جداً عن بعض المعالم الخفية في الشخصية وتشكلاتها وتحولاتها وصلاتها بالسياقات الاجتماعية في النسق الحكائي»⁽¹⁹⁾، فالسارد بذلك يقوم بتقديم بعض مواصفات الشخصية التي تتضمن أبعاداً دلالية تقدم للقارئ المنتج الذي

يستفيد من قدرته التأويلية في تقديم قراءته لتلك الأبعاد الإيحائية، وعلى هذا الأساس فإن الشخصية تمتلك دلالاتها انطلاقاً من طبيعة تشكيلاتها الخارجية أو النفسية، والتي تقدم من قبل السارد أو من قبل الشخصية نفسها وهو ما ينطبق بشكل كبير على شخصية (خالد) التي تقوم بالمهمتين معاً، فهو السارد الروائي الأول وهو الشخصية الرئيسية إذ تتجلى هذه الشخصية « بكيفية تدريجية أثناء القصة مسيطرة لتطور الأحداث التي تتفاعل معها باستمرار »⁽²⁰⁾

لقد قامت شخصية (خالد) بتحديد جل مواصفات الشخصيات الروائية في ذاكرة الجسد، كما نلمح في هذه الرواية كذلك تقديم الشخصية الروائية لمقوماتها النفسية من خلال أسلوب المونولوج مثلما تقدمه شخصية (خالد) الروائية فقد كشف شخصيته مورفولوجيا ونفسيا وذلك بتحديد ملامح شخصيته وانعكاس تلك الملامح سيميائياً على طبيعة القراءة المحتملة التي يقدمها القارئ تأسيساً للبعد الدلالي الجمالي للرواية .

من منطلق أنه «كثيراً ما يعتمد الكاتب إلى تكثيف الإيهام و الأوصاف بإبراز الفروق بين الشخص، وضبط سماتها وتنسيق علاقاتها، وسرد نموها الجسدي والنفسي والذهني والوجداني إلى درجة يتوهم فيها القارئ أنها شخصية حقيقية لها معادلها في الواقع»⁽²¹⁾.

في مسار مواز استغلت ذاكرة الجسد الشخصيات الثانوية وفعاليتها التعبيرية والسيميائية في تحقيق خصوصية الرواية الإيحائية والدلالية، فقد استخدم السارد الشخصيات الثانوية لذاكرة الجسد «استخداماً نأى بها عن هامشية العمل الأدبي، ووضعها لخدمة مضمونه الروائي، فعن طريقها كشف جانباً من جوانب فساد الحياة السياسية»⁽²²⁾.

لقد حملت شخصيات ذاكرة الجسد خصوصيات تعبيرية وسيميائية دلالية سنحاول تقديم أهمها استغلالاً في ذلك لأهم الشخصيات الروائية الفاعلة في تشكيل الخصوصية الفنية والإيحائية لذاكرة الجسد.

د - 1- البعد الدلالي السردى لشخصية خالد:

تعتبر هذه الشخصية أكثر الشخصيات وروداً وأكثرها فاعلية ، إذ تعد حكاية هذه الشخصية الحكاية النواة لذاكرة الجسد ، فدلالياً (خالد) اسم مشتق من الفعل خلد يخلد ، والذي وظف في الرواية على وزن اسم الفاعل (خالد) الذي يحمل دلالة البقاء والاستمرارية المعبران إيحائياً عن ربط الماضي بالحاضر، فلا يمكن من دلالة هذه الشخصية حل مشاكل الوطن السياسية " دون العودة إلى الذاكرة الماضية والتي تمثل قيم الثورة والتي لا يجب كذلك أن نصفها بالتتزيه والقداسة، بقدر ما نعمل على الاستفادة منها في بناء مستقبل الوطن" (23).

تمثل شخصية (خالد) مواصفات البطل الإشكالي الذي « يكتفي بالإشارة إلى الخطأ دون أن يشارك في إزالته، وهذا الموقف الدقيق يجعل الإشكالي (...) مع الرغبة في الأحلام لكن دون أن يتعدى ذلك إلى الممارسة » (24) بمعنى أن هذه الشخصية مثقفة فكرياً تبحث عن القيم الأصيلة في المجتمع لكنها تقف عاجزة عن إصلاحه عملياً « فقد تضاعفت عذاباتها بوعيها بواقعها المهوور، وبقدرتها على إدراك ضعفها أمام وسائل الضغط » (25)، وهو ما يمكن أن نلمسه من قول (خالد) «أما كون العريس سارقاً وناهباً لأموال الدولة... فماذا تريد أن تفعل؟ كلهم سراق ومحتالون، هناك من انفضحت أموره ، وهناك من عرف كيف يحافظ على مظهر محترم ... فقط » (26)

لجأت هذه شخصية إلى الحوارات الداخلية كمسلك للهروب من الواقع المتناقض، بما ساهم في جعل أغلب أسلوب الرواية على لسانه بضمير المتكلم ، لم يرفق اسم خالد بلقب تعزيزاً للحضور الدلالي لاسم الشخصية في المتن الروائي، لكن من حين لآخر ورد اسمه مرتبطاً بـ « سي » تعبيراً عن الاحترام وفاعلية ذلك ابداعياً في تكريس البعد الدلالي للرواية .

إن هجرة هذه الشخصية وإقامتها في الخارج بعيداً عن الوطن تعبير عن التناقض القائم بين هذه الشخصية والسلطة القائمة، وتكريس لبعد دلالي يدعو

إلى خطاب سياسي حداثي متحرر من الرؤية التقليدية القائمة أساسا على الشرعية الثورية والانحراف الذي ميزها وهو ما نلمسه في المقطع النصي التالي « هاهم هنا .وزراء سابقون . ومشاريع وزراء.. سراق سابقون.. ومشاريع سراق »⁽²⁷⁾.

لم تحدد رواية ذاكرة الجسد المواصفات الدقيقة لهذه الشخصية إلا جزء قليلا يعبر عن إعاقة (خالد) كدلالة على ماضي الشخصية النضالي الثوري، أما نفسيا فقد رسمت بمواصفات نفسية متعددة، منها الشجاعة فهو مجاهد في الثورة، ومنها الشفقة والرأفة خاصة في تذكره لأمه أثناء الثورة، ومن مواصفاته النفسية كذلك ثقته بنفسه من خلال تغلبه على إعاقته وإتقانه للرسم، ومن خلال هجرته ونجاحه الفني عند الغربيين، ومن مواصفاته كذلك الغيرة على (حياة) التي امتلكت دلالة الغيرة على الوطن.

تغيرت المواصفات النفسية لهذه الشخصية بعد الاستقلال فأصبحت شخصية سلبية قلقة مفككة نفسيا واجتماعيا وفكريا، من خلال عجزها عن تغيير واقعها سواء في عملها، أو في حفاظها على حبها لحياة، أو في علاقتها مع أسرتها في الجزائر، لقد وصلت شخصية خالد إلى حدود « العدمية وفقدان الهوية والجنون نتيجة اختلال المعايير السائدة، ونتيجة التناقض بينما هو كائن وما يجب أن يكون »⁽²⁸⁾.

د - 2- البعد الدلالي السردى لشخصية حياة:

تعتبر هذه الشخصية ثاني أهم شخصية في رواية ذاكرة الجسد لفاعليتها الإبداعية

في رسم صيرورة البناء السردى والدلالي للرواية، فاسم هذه الشخصية مشتق من حيا، يحيا الذي يحمل دلالة البقاء والحياة والاستمرارية. إن دلالة اسم (حياة) ارتبط إبداعيا برغبة في العودة بالواقع السياسي إلى مسار التاريخ الجزائري المجيد، فهجرة شخصية (حياة) إلى فرنسا دلالة على التصدع الحاصل في الواقع الجزائري بعد أن رأت صورة الخيانة واضحة في ممارسات المسؤولين ولذلك فهي

تري أن الهجرة " أحسن وسيلة للتعبير عن الرفض المطلق للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي يعيشه الوطن بعد الاستقلال " (29) .

لقد امتلكت شخصية (حياة) من خلال المسار السردى للرواية دلالة الأم والوطن، فقد ارتبطت إيحائية اسمها بحياة الوطن واستمراريته، برغم الزلات السياسية الحاصلة، فدلالته إذن دعوة واضحة لنقد مزدوج للسلطة القائمة وللتيار الدينى، ودعوة صريحة لتبني فكر حدائى متحرر من سلطتى الشرعية الثورية والدينية ، لقد اختلفت مرجعية هذه الشخصية مع مرجعية المسؤولين ومرجعية التيار الدينى، إنها تشكل دلالة الانتصار لقيم الحداثة الغربية باعتبارها أساس بناء المجتمع المعاصر حسب رؤية هذه الشخصية الإيحائية، يقول (خالد) « كيف يمكن لإنسان بائس فارغ، وغارق في مشكلات يومية تافهة، وفي عقلية متخلفة عن العالم بعشرات السنين، أن يبني وطناً، أو يقوم بأية ثورة صناعية أو زراعية، أو أية ثورة أخرى » (30)

تمتلك شخصية حياة بعدا دلاليا يعبر عن التفاعل الحضارى الذى يجب أن يكون بين الثقافة العربية والغربية ويظهر ذلك جليا في التفاعل الناجح لهذه الشخصية مع الآخر على مستوى دراستها أو على مستوى إقامتها في مدينة باريس .

لم تحدد رواية ذاكرة الجسد مواصفات دقيقة للناحيتين النفسية والمورفولوجية لهذه الشخصية تكريسا للبعد الاحتمالي الذى يقدمه القارئ ، لكن الخصوصية السردية للرواية جعلتنا نلمس بعض مؤشراتهما من خلال تفاعلها مع شخصيات الرواية الأخرى ومن خلال صيرورة المسارات السردية إذ ترسم ملامح الضعف عليها من خلال عدم قدرتها على التأقلم مع الواقع المعيش مثل زواجها القصرى من رجل عسكري في سن أبوها دون أن تبدي أي رفض أو مقاومة، حاملة بذلك بعدا دلاليا يعبر عن استغلال الانتهازيين للوطن وخيراته استنادا على الشرعية الثورية التى استغلوها لتحقيق مصالحهم الخاصة.

د - 3- البعد الدلالي السردى لشخصية حسان:

تعتبر هذه الشخصية من أهم الشخصيات الفاعلة في تحديد البنية الدلالية للرواية من خلال دورها البنائي الذي تفاعل مع باقي الشخصيات في تشكيل بنية الرواية، وهو اسم مشتق من "الحسن والذي هو ضد القبح" ⁽³¹⁾. فدلالة اسم هذه الشخصية مرتبط بالطيبة والحسن، وهي الدلالة التي جعلت الروائية تستغل هذه الشخصية أحياناً كمقابل لمدينة قسنطينة نفسها بما تحمله من أبعاد دلالية « وهل كان حسان غير تلك المدينة نفسها .. غير حجارتها .. قرميدها .. جسورها ومدارسها .. وأزقتها وذاكرتها .. » ⁽³²⁾.

إن شخصية (حسان) في ذاكرة الجسد تحمل بعداً دلالياً للامنطقية النظام السياسي وتأثيره على الواقع الاجتماعي، فبالرغم أن حسان أستاذ بالثانوية، إلا أنه لم يستطع أن يحقق أحلام عائلته البسيطة من سكن وسيارة وحتى أبسط من ذلك لم يستطع الحصول على ثلابة، لينتهي به الأمر في النهاية بالقتل، بعد أن يكون قد حدد لنا بعض دلالات الفساد الذي ينخر جسم الدولة الوطنية من رشوة واستغلال للسلطة، وبالتالي أصبحت الشخصية الروائية بذلك بمثابة "مكوناً جمالياً في يد الكاتب يعبر بواسطته عن إيديولوجيته الخاصة" ⁽³³⁾.

مورفولوجياً لم يحدد السارد مواصفات شكلية لهذه الشخصية بل جعلها قابلة لحمل مختلف التأويلات التي تخضع للبعد الاحتمالي، أما نفسياً فتبني هذه الشخصية على عنصرين الصبر والتفاؤل من جهة، وفقدان الأمل من جهة أخرى، فبرغم المصاعب والمتاعب التي لاقت هذه الشخصية إلا أنها بقيت صامدة في مواجهة الصعاب التي أفرزها الواقع على طبقة الاجتماعية لهذه الشخصية، أما التفاؤل فهو أمل هذه الشخصية في التغيير المحتمل للمشهد الاجتماعي بما يوافق دلالياً إحياءات الشخصيتين السابقتين.

في مسار مواز امتلكت هذه الشخصية صفة فقدان الأمل كنتيجة حتمية لما آل إليه الواقع الاجتماعي المنبثق عن الواقع السياسي السيئ والمتناقض، فالرشوة

والعلاقات الشخصية واستغلال السلطة عوامل حرمت شخصية (حسان) من تحقيق طموحاتها وحقوقها.

توحي شخصية (حسان) دلاليا بناء على الآلية السردية التي قدمت من خلالها في الرواية على رفض النظام السياسي القائم على أساس الشرعية الثورية المستغلة لخيرات البلاد لمصلحة فئة انتهازية من المجتمع يقول (خالد) « سي حسين الذي كنت أعرفه جيدا، والذي كان مدير إحدى المؤسسات الثقافية، يوم كنت أنا مدير للنشر، وإذا به بين ليلة وضحاها يعين سفيرا في الخارج. بعدما طلعت رائحته من الداخل، فتكفلوا بلفه في بضعة أشهر وبعثه إلى الخارج » الرواية ص (34)

د - 4- البعد الدلالي السردى لشخصية زياد :

تعتبر هذه الشخصية المرادف الدلالي لشخصية (خالد)، إذ هي معلم بارز لتقديم خطاب رواية ذاكرة الجسد الإيديولوجي من خلال دلالة رفض هذه الشخصية لطريقة تسيير منظمة التحرير الفلسطينية في المستوى الأول، ومن خلال نقده المباشر للسياسات العربية وموقفها من القضية الفلسطينية في المستوى الثاني، يقول (خالد) « كان حديث (زياد) ينتهي عادة بشتم تلك الأنظمة التي تشتري مجدها بالدم الفلسطيني تحت أسماء مستعارة كالرفض والصمود .. » (35)

تحمل شخصية (زياد) في ذاكرة الجسد دلالة الرفض والمقاومة المستمرة والدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية والاستفادة من التاريخ الإسلامي المجيد. وهو ما يتجسد فعلا من خلال استشهاد في لبنان، لقد حملت هذه الشخصية الروائية كذلك دلالة رفض الواقع السياسي المنحرف فلسطينيا وعربيا محددًا توجهه الجهادي كإيديولوجيا مقابلة لإيديولوجيا السياسي العربي المتخاذل والاستغلالي

مورفولوجيا لم يحدد السارد ملامح هذه الشخصية بدقة بقدر ما أوحى إلى هيئته الخارجية في مقاطع نصية محدودة ، وبالتالي فالبعد الدلالي لهذه

الشخصية يكتشف من إحياءات تصرفاتها وعلاقتها بالشخصيات الروائية الأخرى. إذ أنها تحمل دلالة الشجاعة لرفضها لضغوط واقعها المعاش فقد رفضت حذف كلمات من ديوانها، كما قامت بالهجرة من بلد لآخر في سبيل تحرير الوطن بل إن شجاعة هذه الشخصية تتضاعف عندما تذهب مجاهدة حتى استشهادها في لبنان جراء قصف إسرائيلي، كما تحمل دلالة الاحترام والوفاء، فقد كان (زياد) وفيا لصداقته مع (خالد) و(حياة) ومع خطيبته.

د - 5- البعد الدلالي السردى لشخصية سي ناصر:

ما يلاحظ في رواية ذاكرة الجسد هو ارتباط هذا الاسم بعباراة (سي) التي تقوم مقام السيد وهي لفظة عامية تدل على الطاعة والاحترام، أما (اسم ناصر) فهو من المصدر الفعلي، نصر، ينصر الدال على الانتصار، لقد امتلك هذا الاسم بعد إحيائها يدعو لسيطرة الديني على الواقع السياسي لمواجهة العلماني المادي.

لم يكن لهذه الشخصية ظهور كبير في الرواية لكن طبيعة الخلق الروائي جعلت إحياءات هذه الشخصية تكشف فعالية الطرح الديني في بناء سيميائية الرواية ودلالاتها، فقد ارتبطت هذه الشخصية بعد توقفها عن الدراسة بالمسجد الحامل للبعد الأيديولوجي الديني، وهو ما تجسد من خلال رفضه زواج أخته من الضابط العسكري

لم تحدد رواية ذاكرة الجسد مواصفات هذه الشخصية المورفولوجية والنفسية باعتبارها شخصية ثانوية، لكن مع ذلك فإن الطبيعة الابداعية للرواية أسست لفاعلية هذه الشخصية في تكريس البعد الدلالي للرواية خاصة في تفاعلها مع دلالات الشخصيات الروائية الأخرى، لقد استغلت الروائية الطبيعة السردية لهذه الشخصية وفق مسارها الإيحائي لتجعل القارئ يستنتج أبعادها وخصوصيتها النفسية، يقول (خالد) « فحل ناصر جدير بأن يكون ابن (سي الطاهر) ، لم ألتق به بعد، ولكن أتوقع أن يكون رأسو خشين ... مثل أبيه أن يكون عنيدا ومباشرا مثله »⁽³⁶⁾

د - 6- البعد الدلالي السردى لشخصية سي الشريف :

تعتبر هذه الشخصية دلاليا المقابل المناقض لخالد وزياد، فأول ما يشد انتباهنا هو ارتباط هذه الشخصية بعبارة (سي) والتي تدل في العامية على شرف صاحبه، من منطلق أن سي مشتقة من السيادة الدلالة على المكانة الرفيعة المرموقة، أما الاسم الشريف فيدل على الشرف والعفة. لكن إذا عدنا إلى المسارات السردية لذاكرة الجسد وسمتها الابداعية الايحائية فإننا نجد اسم سي شريف «لا ينسجم مع طابع الرؤية الإيديولوجية المشكلة للنص، فالمعنى الأخلاقي الذي يحمله هذا الاسم، لا ينطبق على واقع حياة الشخصية، وهذا التناقض حاصل في الشخصية ذاتها من حيث أنها منقسمة على ذاتها، فقد خدمت الثورة في شبابها، ولكن إغراء المنصب الرسمي جعلها تتخلى على قناعاتها الثورية»⁽³⁷⁾

إن عدم تتوافق دلالة هذا الاسم في المسار الروائي مع الوظيفة الدلالية الايحائية التي قدمها جعل هذه الشخصية تنقسم دلاليا إلى مسارين إيحائيين هما :

- ما قبل الاستقلال: تتوافق دلالة الاسم مع فعل الشخصية، فقد كان (سي الشريف) مجاهدا، انخرط في الثورة وجاهد من أجل استقلال بلده فكانت دلالة شخصيته تمثل الصدق والشرف والوطنية.

- ما بعد الاستقلال : تختلف دلالة الاسم عند فعل الشخصية، فبعد أن تسلم (سي الشريف) لمنصبه كسفير تراجع عن قيمه الأخلاقية التي تربطه بوطنه، فقد استغل سلطة منصبه ليتحول إلى رجل عملات وصفقات مشبوهة لتحقيق مصلحته الشخصية، فقد ضحى بابنة أخيه بزواجها القصري من رجل عسكري اختاره هو تحقيقا لمصلحته وبالتالي حملت شخصية (سي الشريف) دلالة السلطة التي خالفت المرجعية الثورية فقد صادرت الحريات الفردية والجماعية وأسست التحولات السلبية للمجتمع الجزائري يقول(خالد) «كان سي الشريف يدري أنه يقوم بصفقة قذرة، وأن يبيع بزواجه اسم أخيه، وأحد كبار شهدائنا مقابل منصب وصفقات أخرى ..»⁽³⁸⁾

لم تحدد رواية ذاكرة الجسد ملامح هذه الشخصية المورفولوجية بقدر ما ركزت على أفعالها، أما نفسياً فإن دلالتها ارتبطت بالطمع من خلال الرغبة في الحصول على أعلى المناصب بشتى الطرق الملتوية وبمختلف العلاقات المصلحية، فهي بذلك شخصية فاعلة في رسم ملامح دلالة الرواية الرفض أساساً لايدولوجيا السلطة الحاكمة، وهو ما نلمسه من قول (خالد) « كنت أدري أن طريقنا تقاطعت منذ سنين عندما دخل دهايز اللعبة السياسية وأصبح هدفه الوحيد الوصول الى الصفوف الأمامية »⁽³⁹⁾.

د - 7- البعد الدلالي السردى لشخصية كاترين:

تعتبر هذه الشخصية ذات قيمة إبداعية هامة في تشكيل الرؤية السيميائية للرواية، فهو اسم غربي وظف دلاليا لكشف أبعاد ذاكرة الجسد السردية من خلال مقابلتها دلاليا بشخصية (حياة)، إذ تقوم كاترين الشابة الغربية بإقامة علاقة حب رمزية مع (خالد) المعاق والأكبر منها سناً، ممتلكة أحياناً مواصفات ايديولوجية الحضارة الغربية التي تهتم بالإنسان في ذاته، ولا تهتم بعلاقاته ومناصبه، إن دلالة هذا الاسم دعوة صريحة لإقامة علاقات حضارية مع الآخر الغربي من خلال تبني رؤية حدثية متفاعلة مع المواصفات الحضارية الغربية.

إن الرؤية الحدثية التي حاولت الروائية تقديمها من خلال البعد الدلالي لشخصية كاترين جعلها بحسب طبيعة الممارسة الإبداعية توحى إلى فكرة انتقاد استغلال المرجعية الثورية والدينية ماضياً وحاضراً تكريساً لفكرة تقوم على مسارين دلاليين أولهما لا معقولية التيار السياسي القائم على العقيدة الدينية التي هي ملك لجميع الشعب، وثانيهما نقد أولئك الذين امتلكوا مكاناً في دواليب السلطة السياسية وتلاعبوا بأموال الشعب باسم الشرعية الثورية، "فدلالة الرواية بذلك هي تأكيد على الحرية والديمقراطية باعتبارها أهم البنى التي تتأسس عليها الطبيعة الحضارية المعاصرة" ⁽⁴⁰⁾.

لقد حددت رواية ذاكرة الجسد بعض المواصفات المورفولوجية لهذه الشخصية تأسيسا لأبعاد الشخصية الغربية المتحضرة في بناء ايحائية الرواية وبعدها الدلالي، كما حددت الرواية كذلك بعض الأبعاد النفسية، فهذه الشخصية بحكم طبيعة الحضارة الغربية شخصية متفتحة وقابلة للتعامل مع مختلف الشخصيات بجرأة ولا مبالاة، إذ يصفها (خالد) عندما رآها في معهد الفنون بقوله «كنت أرى لأول مرة امرأة عارية هكذا تحت الضوء...ودون حرج أمام عشرات العيون...»⁽⁴¹⁾

خاتمة

تعد الشخصيات الروائية من أهم العناصر الفنية المشكلة لذاكرة الجسد التي استغلت إبداعيا من قبل الروائية في تأسيس البعد السردى والجمالى والإيديولوجى اتكاء على المؤشرات النصية التي رسمت بنية تلك الشخصيات وإيحائيتها وهو التصور الذي جعل الشخصية الروائية في ذاكرة الجسد ذات فاعلية إبداعية يمكن تلخيص مقوماتها في ما يلي :

- امتلكت الشخصية الروائية بعدا سرديا ودلاليا ضروريا لتشكيل طبيعة الخلق الفني للرواية
- تفاعلت مقومات مختلف الشخصيات في تشكيل أبعاد الدلالية الرواية وسماتها الفنية
- استغلت الروائية من حين لآخر الجانب الإيحائي في تكريس خصوصية الرواية الفنية وجعل القارئ يكتشف الأبعاد المحتملة لشخصياتها.
- استغلت الروائية أسماء الشخصيات وأبعادها المورفولوجية والنفسية وسلوكاتها وأفكارها لتضمن تقديم البعد الإيديولوجي الذي تؤمن به وتدعو إليه.

- عدم تقديم الروائية بعض مقومات الشخصيات ساهم في اثراء البعد الاحتمالي الذي يمكن أن يقدمه القارئ في تفسيره لوظيفة كل شخصية وقيمتها الإبداعية في الرواية
- فاعلية الشخصيات في تميز اللغة الحوارية المشكلة للغة الرواية الشعرية من خلال مواصفات لغتها وكلامها سواء أكانت طبيعة اللغة الحوارية خارجية أو داخلية ، مباشرة أو غير مباشرة .
- تفاعلت طبيعة اللغة الوصفية مع مقومات الشخصية الروائية لذاكرة الجسد في تكريس الجانب الإبداعي للرواية على المستوى السردى والدلالي .

الإحالات

- (1) سعيد يقطين: قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية): المركز الثقافي العربي (لبنان المغرب) ط1 1997 ص87.
- (2) سليمان حسين: الطريق إلى النص اتحاد الكتاب العرب - سوريا 1997 ص 102.
- (3) فولفغانغ إيزر، فعل القراءة (نظرية جمالية التجاوب)، تر، حميد لحمداني، الجيلالي الكدية ، منشورات المناهل ، المغرب ص 99
- (4) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي العربي ، (لبنان ، المغرب)، ط1 1990 ص 20
- (5) نفسه ، ص 247 - 248.
- (6) نفسه ، ص 226.
- (7) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، منشورات أحلام مستغانمي لبنان ط17، 2001 ، ص 68
- (8) نفسه ، ص 300
- (9) نفسه ، ص 59

- (10) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) ، ص 216-217.
- (11) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) ، ص 216-217.
- (12) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، ص44
- (13) نفسه ، 296 - 297
- (14) نفسه ، ص318
- (15) شريبط أحمد شريبط ، سيميائية الشخصية الروائية (تطبيق آراء فيليب هامون على شخصيات رواية (غدا يوم جديد) مقال بمجلة السيميائية والنص الأدبي (أعمال ملتقى معهد اللغة العربية و آدابها جامعة عنابة 1995): ص214.
- (16) نفسه ، ص 203
- (17) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص195
- (18) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص174
- (19) سعيد يقطين: قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ، ص88
- (20) أحمد طالب ، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1986 ص207.
- (21) مجموعة من المؤلفين: الرواية المغربية وأسئلة الحداثة: مخبر السرديات، دار الثقافة للنشر والتوزيع المغرب ط1 1996، ص220.
- (22) فاطمة الزهراء محمد السعيد: الرمزية في أدب نجيب محفوظ: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ط1 1981 ص118.
- (23) علال سنقوقة ، السلطة والمتخيل (في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية) ، رابطة كتاب الاختلاف ، الجزائر، ط1، ط1 2000، ص183.182
- (24) طه وادي ، الرواية السياسية ، دارالنشر للجامعات المصرية، مصر ط1، 1996، ص 24
- (25) فاطمة الزهراء محمد السعيد ، الرمزية في أدب نجيب محفوظ ، ص 237.
- (26) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص350
- (27) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص355

- (28) مراد عبد الرحمان مبروك: بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1998 ص 180
- (29) علال سنقوقة ، السلطة والتمثيل (في علاقة لرواية الجزائرية بالسلطة السياسية) ، ص 123.
- (30) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص198
- (31) ابن منظور ، لسان العرب، تص: أمين محمد عبد الوهاب: محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان ج3، ص 177
- (32) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص285
- (33) حميد لحمداني، النقد الروائي والايديولوجيا (من سوسيولوجيا الرواية ، إلى سوسيولوجيا النص الروائي) المركز الثقافي العربي (لبنان، المغرب) ط1 1990 ص 40.
- (34) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص357 - 358
- (35) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص197
- (36) نفسه ، ص341
- (37) علال سنقوقة ، السلطة و التمثيل (في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية) ، ص 124.125.
- (38) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص272
- (39) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص57
- (40) علال سنقوقة ، لسلطة والتمثيل (في علاقة الرواية الجزائرية ، بالسلطة السياسية) ، ص77 ،
- (41) أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ص94